

خواطر سياسية

بشرها بررم ١٤ سبتمبر

للأستاذ محمد محمود جلال

زلنا (برتشاخ) في أوائل أغسطس المنصرم نستجم بمد
الاستشفاء في (بادجاستين) ، وبرتشاخ محلة تمتاز بالهدوء وتوسط
الارتفاع عن سطح البحر فلا تكاد تصل إلى خمسمائة متر ، وهي
واقعة على بحيرة (فرتر) التي تمتد من أجل البحيرات في أوروبا
وهناك تقوم البواخر والزوارق من بخارية وشرعية مقام
الترام والعربة والسيارة من وسائل النقل

في أصيل أحد الأيام وبينما هم نستقل أحد تلك الزوارق
التي تسيّر (بالبنزين) لحنا في الأفق وعلى بعد نحو مليون أو ثلاثة
قوساً يعلو البحيرة ويبدأ من الشاطئ الأيمن ، فصاح ولدي وهو
بجانبى : « هذا ماء وكأنه يخرج من مضخة » قلت كلا ، وكيف
ذلك وليس فيما نرى ساكن وهذا موضع بمخاض الطريق المد
للسيارات ، ولولا أن القوس لا تظهر معها ألوان لقلنا إنه قوس
قزح الذي نسميه في ريفنا المبارك (قصعة الرضاء) ونمده فالأ
حسناً للعام

طلبنا إلى السائق أن يتجه إلى هذا المكان المنهم علينا
وهناك سألتناه الايضاح ، قال : إن إلى يميننا بحيرة صغيرة تعلونا
بكثير ، ويزداد ماؤها بين وقت وآخر بحيث يخشى طفيلانه ، فأقامت
له الحكومة محطة كهربائية تنقل منه جانباً في يوم معين من
الأسبوع وقد يتكرر ذلك في أيام أخرى غير معينة

قلت : ولم تعملون على أن يتخذ في تصريفه هذا الوضع وفي
الامكان صرفه دون أن يرى وعلى وضع مستقيم
قال : « إن أسماك بحيرتنا تموت من قوة الاندفاع ، فخرماً
عليها لجأ المهندسون إلى هذه الطريقة »

قلت : « أهكذا دائماً قوانين الطبيعة لا تتغير ؟ فالغريب من
الماء كالغريب من الناس حين ينزل على غير بلاده متغيراً أو معتلاً
غاصباً يخرّب ويدمر ويمصّف بالأوضاع كما يمصّف بالأرواح ،
ولورد جميع الناس إلى آدم وحواء كما برد أصل هذه الأنهار
والبحيرات إلى المطر »

هذا تعيش مائة عام . وكتب آخرون يقولون إن الجنس
الانسانى من أطول الأجناس أعماراً برغم هذا المصّران . ثم دخل
في حوار واسع بنى عن الحكمة في أن سنة النشوء أدّت
للحيوانات أن تحتفظ بالمصارين الغليظة ، وبشنة وقع على دوائه
الكبير للتسمم الذاتي : تحدّث بعضهم قال إن في بلاد البلغار
قُرى يعيش أهلها أكثر من مائة عام . ولم يكن متشيكوف
ذهب إليها ورأى هذه الأعمار الطويلة بينه ، ولكنه برغم ذلك
صدّق ما سمع ، وعلم أن هؤلاء المعبّرين يعيشون على اللبن
الرائب (١) ، فأسرّ لنفسه : « أى والله ! هذا هو السرّ في
طول هذه الأعمار » ، ولم يلبث أن كلّف بعض الشبان البحتات
في معمله دراسة الكروبة التي تُربى اللبن ، ولم تلبث هذه
الكروبة الشهيرة - البشلة البلغارية - أن أخذت مكانها
رفياً بين المتحضرات الطبية

وفسر متشيكوف عملها فقال : « إن هذه الجرثومة تصنع
حامض اللبن الرائب وهي بذلك تطرد البشلات الوحشية من
الأمعاء . وبدأ بأن شرب هو نفسه مقادير هائلة من اللبن الرائب
ثم عقبها كل زريعات من البشلة البلغارية ويظل يأكل منها
سنوات . وآلف كتباً كبيرة في هذه النظرية الجديدة ، وأشادت
بهذه المؤلفات صحيفة إنجليزية لا يعرف الهزل منها فقالت إنها
أخطر الكتب الطبية منذ ظهور كتاب « أصول الأجناس »
لدارون . وشاع أكل هذه البشلات الضخيفة في الناس ،
وتألفت شركات لصناعتها أثرتى أصحابها إزاء كبيراً من يبعها ،
وأذن لهم متشيكوف أن يكتبوا اسمه عليها ولو أن زوجته تؤكد
أنه لم يفد من ذلك قرشا

وعاش عشرين عاماً عيشة صارمة على الأسلوب التي تقضى به
هذه النظرية . وجانب الطباق ولم يذق كولا في شراب ولم يأذن
لنفسه أن تستمتع بشهوة داعرة ، وامتنحنه أشهر أطباء المصر
وأداموا امتحانه ، وجاءه الخبز في أكياس معقمة من الورق
حتى لا تعلق به هذه البشلات المعوية التي يتسمم الجسم من
فعلها . واختبر دائماً عصارات جسمه وإفرازاته . وشرب في
هذه السنوات الأخيرة جالونات لا عدّها من اللبن الرائب وبلغ
الملايين من البشلات البلغارية النفاة . . .

ثم مات في عامه الواحد والسبعين

(انتهى متشيكوف)

أحمد زكى

(١) منه اللبن الزبادى

الشر فيه مختلطة بشار الخليل قادمة في غير حرب ، وشاخمة كأنما انتهت من فتح ، وهو القصب الصارخ يؤبده العذر الذي لا يبدو خيوط العنكبوت في قوته ، ثم تدرج عليه سنون فوق الخمين انظر واعتبر ! ثم انظر وأمل في الله الخير ، فان الشعب الذي تمركه المحن وتنفضه الذكريات يكون أقوى الشعوب حينما يستفيد من ماضيه ، وأقدرها على السير ناهجاً بفعل الأيام وهي خير سرب وإذا كان الزمان استدار فظهرت العزائم متجهة والقوى مترامنة جهاداً في سبيل العيش ، فمما قريب تظهر هذه العزائم في العمل في كل ميدان للتخلص مما أصاب البلاد

وكان أول كتاب للرحوم مصطفى كامل الى مدام جوليت آدم في ١٢ سبتمبر وكان كتاباً له ما بعده . وكان ما تلاه بأدرة ظهور القائد الشاب وبأدرة الأمل ، وأول العمل المستمر الذي أفضى فيه حياته

ولئن كانت الصحف اليومية وأكثر الهيئات لم تمر هذا اليوم ما يناسبه من عناية ، فقد يكفل الأدب للأهم استخراج العبرة البالغة من المأساة ، والفخرة الغالية من الحادث الصغير . وقد بدأ قام الأدب أميناً على تراث الماضي وتأثراً للفضل والفضائل . ولقد صدق الرحوم شوقي بك حين رأى كسرى وإيوانه في سفينة النجوى أبقى على الزمن من الايوان في نغمته وبنيانه . فكيف به أمام يوم غير من حال أمة ورزأها أكبر الرزء ؟

كنت إلى أمس أقرأ تعليقاً قياً للكاتب الكبير أناطول فرانس على بحث فني بصدد أحد القصور التاريخية في فرنسا وهو قصر الوزير (فوكيه) وزير المالية في عهد لويس الرابع عشر ، فحين عرض لمحتته ثم لمصرعه ذكر تنكر الأيام للوزير وتغير صحبه وخلانه ، وحتى ذلك الجمع الذي لا يحصى ممن له عليهم أيد وآلاء ولم يبق بالواجب نحوه وبذكره في محنته ، ويفصل بين السيئة والحسنة ، ويمنع طفيان الشهوات على قديم مآثره ، إلا لأدباء ، قد سبقوا دفاعاً عنه نظماً ونثراً ومن بينهم كورنيل « Corneille » والرئيس هينو « Henault »

وهل أقرب إلى الحق من الأدب ؟ ومن يحمل عبء الأيقاظ للخير غيره ؟ وهل يصرع الظلم سواء ؟ والحق عرض الله ، كل أيبة بين النفوس حمى له ووقاء محمد محمود مهول

ذكرت على الثوب بلادي وما عانت منذاً أكثر من خمسين عاماً في نظمها وأوضاعها وأخلاقها وأموالها ، ومضت برغمي فترة طويلة منصرفاً إلى ما اكتنفتني من هم مسخ الزهة وكاد يعنى أثر الملاج وأنا مطرق . . . مستعبر

قبع جنود الاحتلال في قصر النيل ووصل أثرهم إلى أقصى الوجه السوداني جنوباً والبحر الأبيض شمالاً . وجلس عميده الأول بقصر الدويارة ونقص عيشنا في ريفنا وصعيدنا ، وانساب كالأفنى إلى عقل الطالب بما قدم من كتب مموخة وإلى الزارع بامتصاص دمه وإلى الدوائر العليا يخضد من شوكتها ويملن أوامرهم فأفسد الأخلاق ، وإلى الجيش فجعله لا يشعر بوجود ولا يتقدم خطوة ولو في الدراسة النظرية

ولقد أراد الله أن تعمل بنا الباخرة في العودة إلى الوطن في السادسة من صباح ٢ سبتمبر ، وما كدنا نفرغ من الاستعداد حتى قاربت الثامنة ؟ وإذا بأحد الخدم يطرق الباب ، ولم كان سروري عظيماً حين سلمني جوازات السفر فأراحني بذلك من الشهد المؤلم الذي كان على كالضربة الثقيلة ، إذ شاء الاحتلال أن تكون الأسرة في بوليس المواني للأنجليز ! فلكم كنت أشمر بالتنفيس المنجى في الذهاب والعودة حين أرى السيطر الباحث في جواز مصرى ولمسافر مصرى غير مصرى

فتحت الخادم وتناولت الجوازات منتبها ، وطرت مع الفأل فرحاً وقلت في نفسي سيحقق الله للبلاد بجهودها ما حققت لي المصادفة اليوم

وهكذا يشاء الله أن يمر ١٤ سبتمبر وأنا بعيد عن القاهرة ، كما تمنيت من قديم ، وكما أنالني الله وقد عودني جميله

عدنا إلى الوطن وتزلنا منازلنا والموسم الزراعي في أحفل مراحلها ، إذ تموج الحقول في جميع أرجاء البلاد بالعديد من أبنائها يجمعون بأيديهم ثروتها ، وإنهم بذلك يتظاهرون للجهاد لا في سبيل العيش فقط ، ولكن في سبيل سمعة الوطن في جانب فتائه ؛ وليس أقوى من مظهرهم حافزاً لهم بين وهج الشمس وأثر الرطوبة المتخلفة عن الفيضان . فلا يحسون سوءاً من الأولى ولا من الثانية ، لأن وهج الهمة أقوى ، وسوزة الجهاد أطنى وأهم ويتفق أن يحفل الموسم مبكراً فيتفق واليوم التكدود الذي طلعت على رحى الاحتلال شمسه ، وخيمت على عاصمة البلاد سحب